

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

إِبْرَاهِيمُ
يُحَاشِ عَنِ اللَّهِ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقِصَصُ الدِّينِي

ابراهيم يُحْيِي عَنْ اللَّهِ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

كان إبراهيم صبيًا ، وكان يرى أباه وأهله وقومه
يصنعون أصناما من الحجر ثم يعبدونها ؛ وهو لا
يعرف إن كانت هذه الحجارةُ آلهة أم لا !!

فلما كبر وصار فتى ، فكر فى نفسه ، وقال :
هذه الأصنامُ أصلها حجارة ، وأنا أعرف هذا ، وهى
تُصنع أمامى من الحجارة ، فكيف تكون آلهة ؟!
وهل الإنسان هو الذى يصنعُ إلهه ، أم الإله هو
الذى يصنع الإنسان ؟! ، لا بد أن الله الذى خلقنا
شيء آخر غير هذه الأصنام ، ولا بد أن أبحث عنه
حتى أجده ، وأشكره وأصلى له . ومن هذا الوقت
صار يبحثُ عن الله الذى خلق الإنسان .

وفي ليلةٍ من الليالي كان جالسا وحده يفكرُ
 ويقول لنفسه : مَنْ هو الله ؟ وأين هو يا ترى ؟
 وفجأةً لمعَ أمامَ نظره في السماءِ كوكبٌ براق ،
 فنهض واقفا ، وأشارَ بيديه إلى الكوكبِ وهو
 فرحان ، وقال : هذا ربِّي لقد وجدته ؛ إنه يلمع في
 السماء من بعيد . إنه جميل وليس مثل الحجارة
 التي يقولون إنها آلهة . وهو لا يتكسرُ مثل هذه
 الأحجار . وراح يصلي لهذا الكوكبِ وهو منشِرحُ
 الصدر ، ويقول : الحمد لله الذي وجدته في
 السماء مضيئا لامعا جميلا . ولكن هذه الفرحة لم
 تتم ؛ فقد نظر إبراهيمُ فوجدَ الكوكبَ اللامعَ قد
 غاب ، واختفى عن نظره ، ولم يعد يراه ، فصرخ :
 يا إلهي !.. يا إلهي . أين تذهب وتركني هنا

وحدى ، وقد ظلمتُ أبحثُ عنك أياما وليالى حتى
وجدتُك . لا تغب يا إلهى . استمع إلى صُراخى . يا
رب .. يا رب ... ولكن الكوكب لم يسمع ولم
يرجع ! عندئذ قال إبراهيم : لا . ليس هذا إلهى .
إنه يَأْفَلُ (أى يغيب) وأنا لا أحب الآفلين .
ومضى يبحثُ عن الله من جديد .

٣

ومرّت الأيام والليالى وإبراهيمُ يبحث . يبحث فى
كل مكان . فى الجبال والوديان . وفى السماء وفى
الأرض . وينظر هنا وهناك . ولكنه لا يرى الله .
وفى ليلةٍ جلسَ وحده حزينا يفكر . وفجأة ظهر
القمرُ مستديراً كاملاً فأثار الدنيا حول إبراهيم .
فانتبه فرأى القمر بازغا . قال : هذا ربّى ! فكيف لم
ألتفت إليه من قبلُ يا ترى ، وهو يطلعُ فيُنيرُ الظلام .

ويملاً الدنيا بالنور . وهو جميلٌ وعالٍ في السماء .
ونوره يذهبُ إلى كل مكان . وراح إبراهيم يصلى
وهو فرحان . يحسب أنه وجد الله الذى كان
يبحث عنه من زمان . لكن هذه الفرحة لم تتم . فقد
نظر إبراهيم فوجدَ القمرَ يميلُ شيئاً فشيئاً نحو
المغرب . ولما بدأ يهبط ويغيب زعق إبراهيم : يا
إلهى لا تغبْ وتتركنى فى الظلام وحدى . ابقْ يا
إلهى فى السماء حتى أذهب إلى أبى وأخبره أننى
وجدتك . ابقْ يا إلهى . ابقْ يا إلهى .

ولكن القمرَ كان قد غاب ، وترك إبراهيم وحده
فى الظلام . وبكى إبراهيم ، وهو يقول :

- إنه لم يكن إلهى . لقد أفلَ وغاب . وإذا كان

ربِّى لا يُعرِّفنى طريقه ، فسأبقى ضالاً لا أراه .

ثم أخذ نفسه وعاد إلى دارِ أبيه ، متألماً حزينا .

كان الجوُّ صيفا . فنام إبراهيم على سطح الدار ،
واستيقظ مبكرا قبل طلوع الشمس ؛ يفكر في الله ،
وأين يكون . وفجأةً أشرقَت الشمسُ من الشرق
كأنها كرةٌ ملتهبةٌ ضخمة . فهتف إبراهيم : هذا ربِّي
هذا أكبر . هذا ربى الذى يُرسلُ الضوءَ والحرارة ،
فَينبتُ الزرع ، ويدفأُ الناس ، وتصير الدنيا كلها
نورا . هذا ربى وقد وجدته أخيرا . فالحمد لله ...
الحمد لله . وراح إبراهيمُ يُصلِّي وهو فرحان . ثم
خرج إلى الشوارع وإلى الحقول وإلى الجبال ؛
ليرى النورَ والحرارة فى كل مكان وفى كل جهة
يُوجِّه وجهه للشمس ويصلِّي ، ويقول : الحمد لله .
لقد وجدتُك يا إلهى . الحمد لله .

ولكن هذه الفرحة لم تتم . فإن الشمس قد

أخذت تميل للغروب ، واصفرت وضعفت أشعتها .
ولما غابت عن القرية ، خرج إبراهيم يجرى إلى
الحقول ، فوجد آثار الأشعة لا تزال باقية فيها .
ولكن بعد قليل اختفت الشمس وراء الجبل ،
فجرى إبراهيم وصعد الجبل ، فوجد آثار الأشعة لا
تزال باقية فيه . ولكن بعد قليل اختفت هذه الأشعة
أيضا . وأظلمت الدنيا كلها حول إبراهيم . وهو
وحيد . عند ذلك قال إبراهيم : لقد وجدت الله :
إن الله ليس هو الأصنام وليس هو الكواكب ،
وليس هو القمر ، وليس هو الشمس .
الله الذي خلّقى موجود ، ولكنى لا أراه .
موجود فى كل مكان ، وقادر على خلق كل شيء
ولكن لا أقدر أن أراه . هذا هو الله . وراح يصلى
فوق الجبل وحيدا ، وقلبه لا يخاف .

عاد إبراهيمُ إلى دارِ أبيه هادئاً في هذه المرة ،
 فنام مستريحَ البال . وفي الصباح وجدَ أباهُ يصلي
 أمامَ الأصنام ، فانتظر حتى انتهى أبوه من صلاته
 وذهب إليه يُكلِّمه في عبادة الله وعبادة الأصنام .
 ودار بينهما هذا الحديث .

- ﴿ يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يسمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا
 يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ؟ ﴾ .

- هذه آلهتي وآلهة آبائي .

- ﴿ يا أبتِ إِنِّي قد جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ
 فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴾ .

- أنت تهديني طريقاً مستقيماً ! أنت الولدُ
 الصغير ! تعرفُ أكثرَ مني ؟

- ﴿ يا أبتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كانَ

للرحمن عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ
مِنَ الرَّحْمَنِ ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٠﴾ .

- أَسْمَعُكَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الرَّحْمَنِ ، فَمَنْ هُوَ
الرَّحْمَنُ هَذَا الَّذِي تَحَدَّثُنِي عَنْهُ ؟ ، وَهَلْ كَفَرْتَ
بِالْهَتَى وَكَرِهْتَهَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟

- إِنَّ الرَّحْمَنَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، وَقَدْ هَدَانِي
إِلَيْهِ ، فَعَرَفْتُهُ بَعْدَ أَنْ بَحَثْتُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

- اذْهَبْ . اذْهَبْ عَنِّي . وَإِذَا لَمْ تَذْهَبْ فَسَأَقْتُلُكَ
قَتْلًا . اذْهَبْ بَعِيدًا عَنِّي . قُلْتَ لَكَ !

- ﴿١١﴾ قَالَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ . سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ
كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٢﴾ .

ذهب إبراهيم إلى الملك والكبراء الذين معه ، وهم
 جالسون أمام الأصنام في المعبد يصلُّون . لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ
 هذه الأصنام ليست آلهة ، وأنها لا تنفع ولا تضر .
 وأنَّ الله الذى يجب أن يعبدوه هو الذى خلق
 السموات والأرض . وخلق الناس وخلق كلَّ شيء .
 ﴿ قال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها ﴾ . ﴿ قال :
 لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلالٍ مُبين ﴾ . ﴿ قالوا :
 أَجئتنا بالحقِّ أم أنت من اللّاعين ﴾ . ﴿ قال : بل
 ربُّكم ربُّ السَّموات والأرض الذى فَطَرَهُنَّ (يعنى
 خلقهنَّ) وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾ .

قال الملك : - ماذا يصنع ربك هذا فى الدنيا ؟

قال إبراهيم : ﴿ ربِّى الذى يُحْيى ويميت ﴾ .

قال : ﴿ أنا أُحْيى وأُميت ﴾ .

ثم أمرَ ياحضارَ رجلين من الفقراء فحضرا وأمر
السياف أن يضربَ عُنُقَ أحدهما ويترك الآخر . ثم
التفت إلى إبراهيم قائلا :

- أرايتَ ؟! لقد أمتُّ واحداً وأحييتُ الآخر !

﴿ قال إبراهيم : إنَّ اللهَ يَأْتِي بالشمس من
المشرق فَأَتِ بها من المغرب ! ﴾ .

عند ذلك بُهِتَ الملكُ ، ولم يستطع الإجابة فقال
لأتباعه : أبعادوا هذا الرجل عني . فطردَه الحرسُ
بالقوة بعيدا .

٧

وصبرَ إبراهيمُ حتى انصرفَ القومُ من المعبد وجاءَ
بفأسٍ كبيرة ، وراح يضربُ الأصنامَ يمينا وشمالا ، ولم
تمضِ ساعةٌ حتى كانت الأصنامُ كلها قد تحولت فُتاتاً ؛
إلا أكبرَ الأصنام فلم يُحطِّمْه إبراهيم ، بل تركه واقفاً

وحده ، ووضع الفأس في عنقه وتركه ومضى ونام
مطمئنا .

وفي الصباح جاء الملك والقوم إلى المعبد يصلُّون ،
ونظروا فوجدوا الآلهة كلها مفتتة ، والأرض مملوءة
بقطع الأحجار .

قالوا : ﴿ من فعلَ هذا بآلهتنا ؟ ﴾ .

قال بعضهم : سمعنا بالأمس فتى يُقال له إبراهيم ،
يهددُ بأنه سيحطمها . قالوا : فأتوا به أمام الناس ليكونوا
شاهدين على جريمته الكبيرة . وجاءوا به ، فسألوه :

﴿ قالوا : أنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ ﴾ ،

﴿ قال : بل فعله كبيرهم هذا (وأشار يَصْبِعُه

الأكبر) ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ .

قال بعضهم : يظهر أنه صادق فيما يقول وأنه مظلوم .

ولكنهم رجعوا فقالوا : لقد علمت أن هؤلاء

لا ينطقون . فكيف نسألهم وهم لا يتكلمون ؟ !
قال : وإذا كانوا لا يتكلمون ، ولا يقدرُونَ أن
يحموا أنفسهم من التَكسير ، فكيف تعبدونهم ؟
﴿ أفَتَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ؟ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ ،
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ ﴾ .

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ .

٨

أَمَرَ الْمَلِكُ بِالْقَبْضِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَحَرْقِهِ ،
فَأَمْسَكُوهُ وَبَعَثُوا الْحَطَّايِينَ لَجْمَعَ الْحَطَبِ وَفُرُوعِ
الْأَشْجَارِ الْجَافَةِ ، وَجَمَعُوا أَكْوَامًا كَثِيرَةً مِنْهَا
وَأَشْعَلُوا فِيهَا النَّارَ .

وَعَرَفَ النَّاسُ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ بِمِيعَادِ حَرْقِ
إِبْرَاهِيمَ فَتَجَمَّعُوا جَمُوعًا كَثِيرَةً ، لِيَشَاهِدُوا هَذِهِ
الْحَادِثَةَ الْعَظِيمَةَ ، وَوَقَفُوا حَوْلَ النَّارِ مِنْ بَعِيدٍ .

وَلَمَّا اشْتَعَلَ الْحَرِيقُ وَصَارَتْ لَهُ حَرَارَةٌ شَدِيدَةٌ ،
لَا يُطِيقُهَا النَّاسُ ، جَاءَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الْأَشِدَّاءِ ،
فَوَضَعُوا إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَاجِنِيقِ ، وَقَذَفُوا بِهِ فِي النَّارِ ،
فَوَقَعَ فِي وَسْطِهَا . فَهَاصَ الْكَفَّارُ وَزَاطُوا ، وَقَالُوا :
ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى النَّارِ الَّتِي كَانَ يَقُولُ لَنَا إِنَّكُمْ
سَتَدْخِلُونَهَا . هَاهَا هَاهَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ .
وَمَا يَشْعُرُ الْكَفَّارُ إِلَّا وَإِبْرَاهِيمَ جَالِسًا فِي وَسْطِ
النَّارِ ، وَالنَّارُ لَا تَمَسُّهُ بِسُوءٍ . وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ فَوَجَدَ
إِبْرَاهِيمَ يَصَلِّي لِلَّهِ وَهُوَ فِي وَسْطِ النَّارِ . فَلَمَّ

يصدّقوا . وفرّكوا أعينهم وعادوا ينظرون .

- إنه حيٌّ لم تحرقه النار ! عجيبة !

- لا تقولوا هذا يا ناس ، كيف لا تحرقه هذه

النيرانُ الشديدة ؟ ، وحق الآلهة : إنه حيٌّ ،

انظروا ، ها هو ذا يُصلّي ! ، إى والله إنه يُصلّي !

- هذا شيطانٌ . شيطان لا تحرقه النار . هيا بنا

اجروا اجروا وابتعدوا عنه ؛ لئلا يحرقكم . وهربوا

جميعا .. ولكن الله أهلكهم ، ولم يُنجِ إلا إبراهيم

الذى هجر البلدة كلها وذهب بعيدا .

وفي مرةٍ خطرَ على بالِ إبراهيمَ أن يسألَ ربَّه :
 كيف يُحيي الموتى بعد موتهم ويعيَّشهم يومَ القيامة ؟
 قال : ﴿ أوَ لم تؤمن ؟ ﴾ .

قال : ﴿ بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ﴾ . فأمره الله
 أن يأتي بأربعة طيور فيذبَحها ويقطعها . بعد أن
 يعرفَ شكلها تماما ، ويضع على كلِّ جبلٍ جزءاً
 منها . ففعل إبراهيمُ ذلك .

ثم قال له الله : ﴿ ادعُهنَّ يأتينك سعيًا ﴾ .
 فدعاهنَّ إبراهيمُ ، فإذا الطيورُ الأربعة تأتي إليه
 تمشي على أرجُلها كما كانت من قبل حية .
 قال : آمنتُ أن الله على كلِّ شيءٍ قدير .